

مصارع الأدباء

بلغ من بغضي للشعر أن صرتُ أعرض عن سوانح معانيه في لوامع قوافيه .
القاعد بالجدود عن منازل الشرف ، المتواكل بالعزيمات عن بلوغ نهايات الأرب .
أحدى قن الخيال . تجري بها البدائة فتلقاها مسمعُ بالقبول ، وتلقاها مسمعُ
باللال . أبعُدْ به وبطلابه

يتهادى امراء الذهب بين « شور » وبين « سيلندزبر » تُساقط اعطافهم
الجنهيات ، ويطوفون حول معاهد الصبوة في عواصم الغرب من « منت كارلو »
الى « منت كارلو » . ثم يأوون الى بيوتٍ كثرت فيها الديكة والحمام ، ثم يصبحون
في زياتهم يهبون المال في دعاوي ومخاصمات : فطلاق وزواج وميراث وشركة
يتخلل ذلك كله لعب الورق واستشارة الوكيل وإدلال الكاتب ، وما ادراك ما
الكاتب ، وبيع الاطيان واقتراض المال . بدرات تفيض المسجد ، وتنفجر عن
ذوب اللجين ، والشاعر يريد ان يبيع ديوانه « بقرص من الطعمية » فلا يجد
مشترياً ، والكاتب يمرض دقاره مجاناً فلا يرى قارئاً فسبحان الله !

علم من أعلام العراق . هو أبو القصائد المحبرة والقوافي المحكمة . نزيل بمصر ،
مقيم في دار حزنه يطالج أيامه ، ويعاني شدائدها وليس بمصر من يقول له أين
أصبحت أيها الأديب العظيم ؟ « أحد مفتاح » رجلُ البلاغة ، يموت ويدفن ولم
تكنب خبر وفاته جريدة من الجرائد فيما علمت . و « محمد امام العبد » وهو شاعر
مجيد يؤسد بالأمس التراب ، ولا يتقدم أحد ليقم له ليالي مائمه . وفي بلاد الغرب
يصنعون التماثيل للشعراء ، ويسمون باسمائهم الشوارع والدوارع ، ويجعلون لميلادهم
ولوتهم اياماً في كل سنة هي بمنزلة أيام الأعياد . ويقولون بمصر : الدستور والجللاء
والموتمر ، وتكنب الجرائد ليحي وليسقط . من يحي ومن يسقط ايها المساكين ؟

لكل أمرية في هذه الأمة موضع يميزه ؛ والناس في درجاتهم متقاربون .
 وليس رجل ينكره معارفه ، ويتجافاه أقرب أقربه إلا الأديب . فهو إذا برز على
 أقرانه حسدوه ، وإن أقصر عنهم حقروه ، وإن ولج جماعاً جالت فيه أبصار
 المستهزئين . والله في خلقه أناس يفخرون بملابسهم ، وليست بصنع أيديهم ، ولا
 انسجتها من نسجهم ، ولا أثمانها من كسبهم ، ولا زيتها نجمل ما قبح من اشكالهم .
 أوثك يطاؤون الهامات ، ويدلون الرقاب ، ويتهادون في كل مزدحم ، تهادي
 الكواعب الرود في الوشي والبرود . طاوويس الرجال يقضون طوال الأعوام في
 ديوان الحياة ، ثم يخرجون منه كما تخرج الأنعام من تحت السقائف ، لا متزودين
 ولا مستخلفين . إلى حيث ألت رحلها ؛



ننظر إلى الكتاب المطبوع بأحدى اللغات الأجنبية فنرى مكتوباً على جلده :
 الطبعة العشرون والطبعة الخمسون وأكثر من ذلك . وقد يكون عدد نسخ الكتاب ،
 في الطبعة الواحدة ، عشرة آلاف على الأقل ، وليس في الشرق كتاب طبع مرتين
 إلا نادراً أو ما كان متضمناً للمجون . وجرائدنا يأكل مشتركوها أثمان اشتراكهم
 فيها ، ويكتفي قراءوها بنسخ يأخذونها من المشتركين ، أو يقرأونها في القهوات .
 وقد يبلغ في الغرابة بعضهم فيردّ الجريدة مكتوباً عليها (مرفوضة) بعد أن يكون
 قراها أشهراً وأياماً . وأغرب منهم من جلاءه جريدة « الجامعة العثمانية » وهي جريدة
 كانت تنشرها « الجامعة العثمانية » في بيروت ، وتعطيها من دون ثمن ، ويكتب على
 غلافها « مجاناً » فردّ الرجل الجريدة بعد أن كتب على غلافها بالعربية والفرنساوية
 « مرفوضة » . رفض الفضل ورفض الكرامة . لا طال ذنب زمانه ، ولم ينجله
 كرم الذين أحسنوا بها عليه إحساناً لم يقع على مستحقه . ومثل هؤلاء المخلوقات
 كثير بيننا ولا فخر !

يموت ادباً ونا، وتُطفأ أنوار المعاني في عقولهم ، وتبقى بيوتهم خاليةً وأجدانهم دائرةً ، وليس فينا من تحدّثه نفسه بأن ينقب عن آثارهم ، وينشر للأمة ما طوي من معارفهم إقراراً بفضلهم ، وتخليداً لذكورهم ، واستفادة من آثار قرائنهم . ونحاول بعد ذلك أن نجاري الأمم أو أنت نُشبه عباد الله . ما اكبر جهلنا باقدارنا ، وما أبعدا عن مواضع الانصاف

لا أديبُ العراق أجدته فرائده ، ولا الاستاذ مفتاح هناته بلاغته ، ولا امام العبد أغناه شعره . وان نسخة من قصة « القاضي والحرامي » او قصة « دليّة المختاله » لأحبُّ الى عامتنا ، وأشهى الى خاصتنا من درر هوّلاء العطاء وجواهرهم ، وأدعى للشجون ثم أبعثُ للطرب من قصائدهم وفصولهم . سقام الله ! رعام الله ! عاشوا مظلومين وماتوا مظلومين . وأودعت بطون المقابر كنوزاً يتباهى بامثالها بلوك الأرض . يروى أن بعض الانكليز يقول « لو خيّرنا بين أن نخسر الهند كلها أو نخسر شكبير لاخترنا خسارتنا للهند ، ولأبقينا شاعرنا عوضاً عنها » ونحن ماذا نقول ؟ نقول لتحيّ الديكة والحمام ، أم نصبح ليجي الدستور ؟؟

انا لنطمع اليوم في ان ننال ما لا يتاح لنا الا بعد خمسين عاماً فمثلنا مثل جماعة من العميان قيل لانهم ركبوا أحدَ المخابر (القوارب) ليعبروا النيل . فقال قائلمهم : هل لكم في الخروج من المركب من غير ان تدفعوا اجراً ؟ قالوا بلى . قال : اذن فاسمعوا لما أقول . اذا قارب المعبّر الشاطئ صاح النوتي . « فلق » . فقبوا هنالك وثبة رجل واحد ، وتفرقوا هرباً ، واعلموا أنه لا يترك معبرةً ويعدو وراءكم . فقبوا المشورة . وكان النوتي يسمع المؤامرة وهم لا يشعرون . فلما توسط النهر صاح . « فلق » . فوثب العميان فوقوا في البحر وغرقوا . واني لأخشى ان يتأدينا الغرور نداء النوتي فنغرق غرق العميان

الأمة في حاجة الى نوابغها ، ونوابغها غريبه بينها ، والصوت الأرن والقول

المسوع ما يهتف به قوم صمتت ألباهم ، ونطقت ألسنتهم . هم المسيطرون وهم الزعماء
حَسْبُ الأديب في الشرق نعوتاً تكال له كَيْلَ الحشف . فهو الأديب الفاضل ،
والشاعر البليغ ، والكاتب البارع ، واللودعي والالمي وغير ذلك . وليت هذه
النعوت تحبى لمن تصدق فيه ، او فيمن تكاد تصدق فيه . ولكنهُ مشارك فيها
مشاركة الغبن . أهل البلدة كلهم ادباء فضلاء بلغاء فصحاء ، ما سلم من ذلك ملكٌ
ولا سوقة . واظنُّ هذه هي المساواة التي يطلبها مجانين الدستور ، لا المساواة في
الحقوق التي يثني عليها أهل الانصاف

ألا من مبلغ عني كلُّ أديب في الشرق أنه أديب وانه فاضل ، وانه لودعي ،
وانه ألمعي ، وانه فصيح ، وانه بليغ وانه عند الناس وجودُهُ مثل عدمه ، وانه أهون
على امراء الذهب من ديكٍ من ديكة الهند ، او من حمامةٍ من حمامة اليمن .
كنت ذات يوم راجعاً من دار البريد وفي يدي سيكارةٌ هي أخرى اخواتها .
فرَّ بجاني رجلٌ يسرع في مشيته ، فاستطارها من يدي حتى وقعت على الأرض ا
وكان اليوم شديدَ الهاجرة لافح الحر . فلما توسطت الشارع رأيت عربيةً نظيفةً
فيها رجلٌ من رعاع القوم ، وامامه اثنان من الأوز . ثلاث رقعةٍ في خير عربية ،
يقودها جوادان مطهَّمان . فرفعت طرفي الى السماء وقلت : يا ربِّ تلهمني الشعر ،
وتجري براعي بما يستطیع من النثر ، وتجعل عبادك يدعونني بالأديب إن صدقاً
وان كذباً ، ثم أرى أني أحقرُّ من الاوز في هذا الشرق ؟؟ ثم انصرفت صابراً
هذا ميدان واسع ، يتعب الجائل في ارجائه . ولولا حقوق الأدب وأهله ما
سَطَرْتها . ثلاثة اخوان : مكروبٌ ودفينان . أما الرثاء فبعض ما يجب ولن يفوتني
ما استطعت منه ، وأما النحيبُ فاني سوف اتحجب . فمن لي بمن يساجلني اللسع ،
ويشاركني في الشكاية . اما أنا لمظلومون ا ا

ولي الربيمة يكلمه

